ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن المشروع للطائف أن يكون متطهرا؛ لأنه إذا أمر بتطهير البيت من أجله فتطهيره بنفسه، وتطهير ما لبسه من الثياب من باب أولى؛ فالمشروع للطائف أن يكون طاهرا من الأنجاس، كما أن المشروع له أن يكون طاهرا من الأحداث؛ فلا يطوف وهو محدث حدثا أصغر أو أكبر؛ ولهذا اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ على قولين في هذه المسألة: لو طاف وعليه حدث أصغر؛ هل يصح طوافه أم لا؟ اختار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن طوافه صحيح، وقال أكثر أهل العلم: إن طوافه غير صحيح.

١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الاعتكاف؛ حيث أمر أن يطهر البيت من أجل العاكفين.

١١ـ ومن فوائدها وأحكامها: مشروعية الاعتكاف في المسجد الحرام؛ لقوله: «أن طهرا بيتي للطايفين والتكفين »، وهذا أمر لا إشكال فيه، وقد قال عمر: «يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «فأوف بنذرك» (١).

١٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الركوع والسجود؛ حيث عبر بها عن الصلاة كاملة؛ قال أهل العلم: وإذا عبر الله عن العبادة ببعضها دل على وجوب هذا البعض فيها، وقد بينا أن الركوع



(١) رواه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم، رقم (٢٠٤٣)؛ ومسلم: كتاب الأيمان، باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم، رقم (١٦٥٦).



والسجود من أركان الصلاة، وحد الركوع أن ينحني القائم، أن يحني ظهره بحيث يكون إلى الركوع التام أقرب منه إلى القيام التام، وقيل حده أن ينحني بحيث يمكنه مس ركبتيه إذا كان معتدل اليدين لا طويلها ولا قصيرهما، وأما السجود فقد بين النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه لابد من السجود على أعضاء سبعة؛ فقال: «أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة ـ وأشار بيده على أنفه ـ واليدين، والرجلين، وأطراف القدمين...» (١).

١٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن تطهير المساجد من فروض الكفاية؛ لقوله: «أن طهرا بيتي للطايفين»؛ فوجه الأمر إليها، وإن كانت هذه الفائدة، أو هذا الحكم قد يكون مأخذه من

هـذه الآيـة الكريمة ضعيفا، لكنه يؤخذ ـ أي: وجوب تطهير المساجد مـن الأذى والقذر ـ من أمر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الـصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يريقوا على بول الأعرابي الذي بال في المسجد ذنوبا مـن ماء؛ أي: دلوا من ماء؛ فإن هذا يدل على الوجوب، وعلى أنـه وجـوب كفائي؛ وعلى هذا فإذا رأيت في المسجد قذرا فأزلـه إن أمكنـك، فـإن لم يمكنك وجب عليك أن تبلغ من عليه تطهيره.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب السجود على سبعة أعظم، حديث رقم (٨١٠)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود...، رقم (٤٩٠)، واللفظ له.

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - تعالى -: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وأرزق أهله، من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعة قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . قوله ـ تعالى ـ: «وإذ قال إبراهيم متعلق بمحذوف ـ كسابقيه ـ والتقدير: «واذكر إذه قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا ؛ ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ أن يذكر الناس ويبلغهم ما قالـه إبـراهيم ـ عـلـيـه الـصلاة والسلام ـ مـن الدعاء للبيت الحرام وأهله؛ حيث قال: «رب اجعل هذا بلدا ءامنا ؛ أي: آمنا من كل خوف، «وأرزق أهله، من الثمرات »؛ أي: أعطهم من



In

الثمرات؛ أي: ثمرات الأشجار من النخيل، والأعناب، وغيرها. وإنها سأل إبراهيم ذلك؛ لأن مكة بلد غير ذي زرع، فسأل إبراهيم ربه أن يرزقهم من الثمرات؛ فأجاب الله دعاءه؛ كما بينه - سبحانه وتعالى ـ بقوله: « أولم يروا أنا جعلنا حزما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم * [العنكبوت: 67]، وقال في آية أخرى: « تجبى إليه ثمرث كل شيء رزقا من لدنا ﴾ [القصص: 57]، ولكن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قيد ذلك بقوله: «من ءامن منهم بالله واليوم الأخرة وهذا من تمام أدبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أنه سأل الله أن يرزق أهل هذا البيت من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ وذلك تأدبا من قوله - تعالى -: «لا ينال عهدي الظلمين »؛ حيث قال في الأول حين

قال الله له: «إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين، فأطلق إبراهيم بسؤال الإمامة، ولكن الله قيدها بأنها خاصة بمن ليس بظالم، فهنا قال إبراهيم: «من ءامن منهم بالله واليوم الأخر ، ولكن الله ـ عز وجل ـ بين أن رزقه لأهل هذا البيت يشمل؛ قال ـ تعالى ـ: «ومن كفر ؛ يعني: وأعطي من كفر من الخيرات التي تجبى لهذا البلد ـ أعني: مكة ـ أما من كفر: «فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصيره؛ أمتعه في هذه الدنيا بها أعطيه من الثمرات والخيرات، لكنه متاع قليل؛ إذ إن الدنيا كلها فانية تمضي لحظة فلحظة، ولا يدري الإنسان إلا وقد بلغ الأجل، وحل به الموت؛ فهي - مها طالت بالإنسان ـ قليلة، ثم إن الدنيا إذا طالت بالإنسان، وأمد له في الأجل؛ فإنه يرجع إلى أرذل العمر، وقد قال الشاعر : لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته باذكار الموت والهرم قال - تعالى -: «فأمتعة قليلا ثم أضطره إلى عذاب النّار »؛ يعني: أمتعه قليلا ثم أدفعه مضطرا إلى عذاب النار يوم القيامة؛ كما قال الله ـ تعالى -: ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ﴾ [الطور: 13]؛ فهم ـ والعياذ بالله ـ يدفعون دفعا، وكأنهم إذا شاهدوا النار كأنهم يتلكئون ولا ينطلقون؛ فيدعون إلى نار جهنم دعا، ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير هذا قدح وثناء بالشر على مصير أهل النار ـ نسأل الله العافية.







فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

١- نصح إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ للبلد مكة؛ حيث قال : رب اجعل هذا بلدا ءامنا *، وقد استجاب الله دعوته؛ قال الله - تعالى -: « والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين » التين: ١-3]، وقال ـ تعالى ـ: « أولم يروا أنا جعلنا حرما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم * [العنكبوت: 67]، وقال - تعالى -: ﴿ وإذ جعلنا البيت كيا
مثابة للناس وأمنا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أنّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - سأل الله ـ تعالى ـ أن يرزق أهله من الثمرات، من آمن منهم بالله واليوم الآخر، فسأل شيئين: الأمن، ورغد العيش؛ فأجاب الله دعوته أيضا؛ فكانت مكة ـ وإن لم تكن بلدا زراعيا ـ تُجبى إليها ثمرات كل شيء من كل قطر؛ فأهلها آمنون، وبالعيش راغدون؛ فكان يجب عليهم من طاعة الله أكثر مما يجب على غيرهم؛ شكرا الله ـ تعالى ـ على هذه النعمة. 3- ومن فوائدها وأحكامها: حسن

أدب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ لقوله: «من ، امن منهم بالله واليوم الآخر ؟ . 4- ومن فوائدها وأحكامها: أن الإيمان بالله واليوم الآخر من أسباب الرزق والأمن، وكلما كان الإنسان أقوى إيمانا بالله واليوم الآخر كان أكثر أمنا؛ قال الله - تعالى -: * الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمنتهم يظلم أولئيك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام: ٨٢].



من
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله ـ تعالى ـ قد يعطي السائل أكثر مما سأل؛ لحكمة تقتضي ذلك؛ فإبراهيم سأل أن يرزق الله أهله الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، ولكن الله قال: «ومن وهنا قد يرد إشكال: هل قوله: «ومن كفر * يقتضي إقرار الكافر على كفره في مكة أم لا؟ والجواب: لا يقتضي ذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: « يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون تجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة: ٢٨].

µ

6ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الرزق للكافر؛ فالكافر رزقه من الله ـ عز وجل، ولكنه مسئول عن هذا الرزق يوم القيامة، محاسب عليه؛ قال الله ـ تعالى ـ: ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبنت من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ( ليس على الذين امنوا وعملوا الصلحت جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصلحت ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ [المائدة: 93]؛ فالكافر ـ وإن نعم برزق الله ـ محاسب على هذا الرزق يوم القيامة.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الدنيا ـ وإن طالت ـ متاعها قليل؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «فأمتعه قليلا ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه



قال: «وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»(1). ٨ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل النار يضطرون إلى دخولها اضطرارا، ويدفعون إليها دفعا؛ لقوله: «ثم

أضطره إلى عذاب النار ؟. 9ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات النار، وأنها جزاء للكافرين؛ لقوله: «ثم أضطره إلى عذاب النار ؟. ١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: الثناء بالشر على النار ومن كانت مصيرا له؛ لقوله ـ تعالى : ( وبئس المصير، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجيرنا وإياكم من النار، وأن يدخلنا الجنة دار القرار؛ إنه جواد كريم.

أحكام من القرآن الكريم

*

(١) سبق تخريجه ص (٢٧٦).

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة: ١٢٧] - إبراهيم هو خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام ـ، وهو أبو الأنبياء بعد نوح ـ عليها الصلاة والسلام ؛ قال الله ـ تبارك وتعالى - ( ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب » [الحديد: ٢٦]، أما ابنه إسماعيل فهو أبو العرب، ومن سلالته خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ، والقواعد أساس ،
البنيان * من البيت البيت هنا هو الكعبة، رفعا القواعد وهما يقولان:



ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليمه؛ لأن العمل إذا لم يقبل صار
تعبا وضياعا.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ فضل إبراهيم وإسماعيل؛ حيث رفعا قواعد هذا البيت الذي أضافه الله ـ تعالى ـ إلى نفسه في قوله: «أن طهرا بيتي للطايفين والتكفين والركع السجود﴾ [البقرة: ١٢٥].
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: تواضع الأنبياء لشريعة الله ـ عز وجل

، وتعظيمهم لحرماته؛ حيث بني إبراهيم وابنه إسماعيل هذا البيت؛ تواضعا الله ـ عز وجل ـ وتعظيها لحرماته.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل أحد مها عظمت درجته وعلت منزلته مفتقر إلى ربه، وإلى قبوله ـ جل وعلا ـ؛ لقول إبراهيم: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليمه .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: طرد العجب من النفس، فلا يقول الإنسان: أنا عملت، أنا فعلت، أنا قلت، بل يعمل العمل، وهو مفتقر إلى ربه ـ عز وجل ـ في قبوله.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الشأن ـ كل الشأن ـ في قبول العمل، لا في نفس العمل، وإذا كان كذلك؛ فإنه ينبني على هذا أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على ما يكون به القبول؛ وهو الإخلاص لله ـ عز وجل ـ، والمتابعة لشريعته؛ لقوله ـ تعالى ـ: ( فمن كان يرجوا لقاء





ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف: ١١٠]. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها وجوب الإيان بهذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «السميع» ﷺ «العليم»؛ السميع لكل مسموع مها خفي، والعليم بكل معلوم مها تباعد . ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات صفتي السمع والعلم الله ـ عز وجل. ؛ لأن السميع والعليم اسان مشتقان من السمع والعلم؛ فلابد أن يتضمنا هذه الصفة، ولا نقول ـ كما قال أهل البدع -: إنه سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، وسمع الله - سبحانه وتعالى ـ ينقسم إلى قسمين: سمع بمعنى الإجابة، وسمع بمعنى إدراك الصوت وإن خفي؛ فمن الأول قوله ـ تعالى ـ عن إبراهيم: «إن زنى لسميع الدعاء [إبراهيم: 39]؛ أي: لمجيب الدعاء، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده؛ أي: استجاب لمن حمده؛ ومن الثاني ـ أي: إدراك الصوت ـ قوله ـ تعالى -: « قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ [المجادلة: 1].
أما في هذه الآية في قوله: «إنك أنت السميع العليم». فتحتمل المعنيين جميعا؛ أي: تحتمل سمع الصوت، وسمع الإجابة، هذا وقد قسّم العلماء
الصوت ـ بحسب ما يقتضيه السياق ـ إلى عام وخاص؛ فالعام: هو الذي يتضمنه هذا الاسم الكريم في القرآن أو في غيره، ومقتضاه إدراك كل صوت مها خفي؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية:
سمع

ه قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله؟ الآية [المجادلة:1]، قالت عائشة: «الحمد لله الذي وسـع سمعـه معـه الأصـوات؛
لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول»(1).

ہے
وأما السمع الخاص فمقتضاه: النصر والتأييد؛ مثل قوله ـ تعالى ـ لموسى وهارون: « لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه: ٤٦]. أما العليم فهو ـ كما أسلفنا ـ متضمن لصفة العلم، وعلم الله سبحانه وتعالى ـ أزلي أبدي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان؛ قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفرعون حين سأله: « فما بال القرون الأولى « قال علمها عند رتى في كتب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ [طه : ٥١، ٥٢]، والله ـ عز وجل ـ واسع العلم، عليم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبدا، فلم يسبق علمه جهل، ولا يلحقه نسيان ـ سبحانه وتعالى ، وقد جاء ذكر العلم جملة وتفصيلا؛ فمن التفصيل قوله ـ تعالى ـ: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين * [الأنعام: 59].
ع

(١) انظر : فتح الباري (١٣/ ٤٦٠)؛ ومسند الإمام أحمد (6/ ٤٦)؛ وسنن النسائي: كتاب الطلاق، باب الظهار، رقم (٣٤٦٠)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيها أنكرت الجهمية، رقم

(١٨٨).



ولكن ما الذي نستفيده من هذين الاسمين الكـريمين: السميع،
والعليم؟
نستفيد من الناحية المسلكية فائدة؛ وهي أن نحذر من أن نتكلم بـا لا يرضي الله؛ لأننا إن تكلمنا سمعه الله ـ عز وجل ، ونحـذر مـن أن نضمر في نفوسنا أو نعمل بجوارحنا ما لا يرضي الله - سبحانه وتعالى - عنا؛ لأنه سوف يعلمه، ثم ينبئنا با عملنا يوم القيامة.

ثم يقول الله ـ عز وجل ـ في ذكر ما قاله إبراهيم وإسماعيل ـ عليها الصلاة والسلام ـ وهما يرفعان القواعد من البيت ـ: * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة: ١٢٨]
قوله: «ربنا واجعلنا مسلمين لك»؛ أي: منقادين لأمرك على وجه الإخلاص لك؛ لأن الإسلام الله يتضمن الإخلاص له والانقياد لأمـره ـ جل وعلا .
ومن ذريتنا»؛ يعني: واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك، وهـي أمة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأنهـا هـي الأمـة التي يـصـدق عليها أنها من ذرية إبراهيم وإسماعيل، أما بنو إسرائيل فهـم مـن ذريـة

ITA

إبراهيم؛ فهم ليسوا من ذرية إسماعيل، بل هم بنو عمهم. وأرنا مناسكنا»؛ أي: مواضع نسكنا، ألهمنا إياها حتى نراها.



ع
وثب علينا إنك أنت التواب الرحيمة؛ ومعنى التوبة من الله على عباده: أن يوفقهم للتوبة أولا، ثم لقبولها ثانيا، والتوبة في الأصل: الرجوع إلى الله - عز وجل -، «إنك أنت التواب الرحيم»؛ التواب: كثير التوبة على عباده مها عظمت ذنوبهم؛ لقوله ـ تبارك وتعالى -: و قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر: 53]، فقد نزلت هذه الآية في التائبين؛ والتوبة من الذنوب ـ مها عظمت الذنوب ـ تهدم ما قبلها؛ لقول النبي ﷺ: «التوبة تهدم ما قبلها»، أو قال «تجب ما قبلها». والتوبة تكون من أعظم الذنوب في حق الله وفي حق العباد، وتقبل؛ قال الله ـ تعالى ـ: « والذين لا يدعون مع الله إليها ءاخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ت يضعف له العذاب يوم القيمة وتخلد فيه، مهانا ت إلا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فأولتيك يبدل الله سيئاتهم حسنت وكان الله غفورا رحيما ( ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا* [الفرقان: 68 - 71]، والرحيم ذو الرحمة التي بها حصول النعم واندفاع

النقم.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا۔ أن كل أحد محتاج إلى ربه ۔ عز وجل ۔ بل مضطر إليه في أن يوفقه للاستسلام له ظاهرا وباطنًا؛ لقول إبراهيم ۔ عليه الصلاة



والسلام ۔ وابنه إسماعيل: «ربنا واجعلنا مسلمين لك؟. ٢۔ ومن فوائدها وأحكامها: أن الداعي إذا استمع إليه من يؤمن على دعائه؛ فإن الدعاء يكون لها جميعا؛ لأن الظاهر أن الذي يدعو إبراهيم، وإسماعيل يؤمن، والمستمع المؤمن مع الداعي كالداعي تماما؛ ودليل ذلك قوله ۔ تعالى ۔: « وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس

مع
على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - قال قد أجيبت دعوتكما فأستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون» [يونس: ٨٨-٨٩]، فقال ۔ تعالى ۔: «قد أجيبت دعوتكما؟ أن الداعي موسى، قال العلماء: لأن موسى يدعو وهارون يؤمن. 3۔ ومن فوائدها وأحكامها: فضل إبراهيم وإسماعيل على هذه الأمة؛ لقوله: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك؟.

٨٨

٤۔ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله له عقبا صالحا؛ لقوله: «ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »، وهذا كقول إبراهيم: « رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء *
٤

[إبراهيم: 40].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل إنسان مها عظمت درجته وعلت مرتبته مفتقر إلى علم الله له؛ لقوله: «وأرنا مناسكنا» . 6۔ ومن فوائدها وأحكامها: أهمية معرفة موضع العبادة إذا كانت

العبادة مقيدة بمكان معين، وكذلك أهمية معرفة وقت العبادة إذا كانت مقيدة بوقت معيّن؛ وينبني على هذا أنه ينبغي أن نعتني بمعرفة أوقات الصلوات الخمس حتى نؤديها في الوقت الذي حدده الله - عز وجل - لعباده؛ لقوله: « إن الصلوة كانت على المؤمنين كتبا موقوتا * [النساء: 103]؛ ومن ثم أحذر إخواننا المؤذنين من أن يؤذنوا قبل دخول وقت الصلاة، أولا: لأن الأذان إعلام بدخول وقت الصلاة، والأذان قبل دخول وقتها لا يصح أن يكون إعلاما بدخول الوقت، وثانيا: أنهم إذا أذنوا فربا يتعجل أحد في البيوت من النساء أو من الرجال الذين لا تلزمهم صلاة الجماعة لعذر شرعي، فيصلون فور انتهاء المؤذن من أذانه، وتكون صلاتهم قبل دخول الوقت، ومن المعلوم أن الإنسان لو كبر تكبيرة الإحرام قبل دخول الوقت، ثم أتم الصلاة بعد دخوله؛ فإن صلاته لا تصح؛ يعني: لو تقدمت الصلاة بتكبيرة الإحرام فقط قبل دخول الوقت؛ فإنها لا تصح.
ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل إنسان مها علت منزلته وارتفعت درجته مفتقر إلى توبة الله ـ عز وجل ـ عليه؛ لقول إبراهيم: وتب علينا ، وقد من الله - سبحانه وتعالى ـ على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بتوبته عليه؛ فقال: « لقد تاب الله على النبي والمهجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العشرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ [التوبة: 117].

= ١٤٦٤



والتوبة هي الرجوع إلى الله ـ عز وجل ـ مـن معـصيته إلى طاعتـه،
ولابد فيها من شروط خمسة:
الأول: الإخلاص لله بألا يحمله على التوبة إلا رضا الله ـ عز وجل وابتغاء ثوابه؛ فلا يحمله عليها خوف من سلطان أو من أناس.

والثاني: الندم على ما فعل من المعصية. والثالث: الإقلاع عن المعصية في الحال.
والرابـع : العزم على ألا يعود في المستقبل. والخامس: أن تكون التوبة قبل إغلاق زمن التوبة؛ وعلى هذا فلا تصح التوبة إذا حضر الأجل؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وليسـت الثوبه للذين يعملون

السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت الن * [النساء: 18]، ولا تصح التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها؛ لقوله ـ تعالى ـ: « يوم يأتى بعض ءايت ربك لا ينفع نفسا إيمئنها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمينها خيرا ﴾ [الأنعام: ١٥٨].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: التوسل إلى الله ـ تعالى ـ بأسمائه عند الدعاء؛ لقوله ـ تعالى ـ: « هل ينظرون إلا أن تأتيهم المليكه أو يأتي ريك أو يأتى بعض ،ايت ربك يوم يأتى بعض ،ايت ربك لا ينفع نفسا إيمننها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهنا قال: «وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم»، وينبغي أن يكون التوسل بالاسم المناسب لما دعوت به؛ فإذا دعوت للتوبة فتوسل إلى



الله باسمه «التواب»، وإذا دعوت للمغفرة فتوسل إلى الله باسمه «الغفور»، وإذا دعوت لطلب الرزق فتوسل باسمه «الرزاق»، وما أشبه ذلك.

٩ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «التواب» و«الرحيم»؛ أما التواب فهو الذي يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، وهو الذي يوفق من يشاء إلى
التوبة؛ فيتوب؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [التوبة: 118]، وأما الرحيم فهو ذو الرحمة العظيمة الواسعة؛ قال الله - تعالى -: * ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف: 156]، وقال عن الملائكة وهم يدعون: « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ [غافر: 7].
وقد قسّم العلماء ـ رحمهم الله ـ رحمة الله - عز وجل ـ إلى قسمين: رحمة مخلوقة، ورحمة هي صفته، ومثلوا للرحمة المخلوقة بقوله ـ تعـالى - في الحديث القدسي ـ للجنة: «أنت رحمتي أرحـم بـك مـن أشـاء مـن عبادي»، وأطلق عليها اسم رحمته؛ لأنها محل رحمته؛ ولأنها مقر عبـاد الرحمن، وسكن الرحماء من عباد الله.
والقسم الثاني: رحمة هي صفته ـ جل وعلا ـ وهي غير مخلوقة؛ فإن

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: (وتقول هل من مزيد»، رقم (٤٨٥٠)؛ ومسلم: كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٤٦).

= 466

أحكام من القرآن الكريم

جميع
صفات الله غير مخلوقة؛ فإن الله ـ تعالى ـ بصفاته هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وهذه تنقسم إلى قسمين: رحمة عامة تشمل جميع الخلق من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، وعاقل وبهيم، ورحمة خاصة بعباد الله المؤمنين؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب: 43]، ومقتضى الرحمة العامة إيجاد ما به تقوم مصالح المرحومين، وتندفع مضارهم، وأما مقتضى الرحمة الخاصة فهو توفيق هؤلاء، وتسديد أمورهم، وإصلاح أحوالهم على وجه أخص مما تقتضيه الرحمة العامة.

ثم قال الله - تعالى -: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءايتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة: ١٢٩] .

159

قوله: «زئنا وابعث فيهم رسولا منهم » «فيهم »؛ أي: في الذرية، وأعاد الضمير إليها بالجمع؛ لأن معناها الجمع، والبعث، والإرسال بمعنى واحد؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال الله ـ تعالى : ( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينت بغيا بينهم
ع

سورة البقـرة

467

فهدى الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقوله ـ تعالى ـ: «رسولًا منهم * هـو محـمـد ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم -؛ لأنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وليس في ذرية إسماعيل نبي سوى محمد ﷺ

يتلوا عليهم اينيك؛ يقرؤها عليهم حتى يفهموها عليها، وفهـا، وعملا؛ ولهذا قال: «ويعلمهم الكتب والحكمة »؛ الكتاب الـذي هـو القرآن، والحكمة التي هي السنة وما تتضمنه أحكام القرآن والسنة من الحكم والأسرار، «ويزكيهم»؛ ينمي أخلاقهم وأعالهـم؛ ولهـذا كـان النبي ـ عـليـه الـصلاة والسلام ـ مـتمها لمكارم الأخلاق؛ «إنك أنت العزيز الحكيم الجملة ـ هنا ـ جملة توسلية؛ توسل بها إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام ـ لقبول ما دعا به وتحقيقه، و«العزيز) يعني: ذا العزة الكاملة؛ وهي عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع؛ فـالله ـ سـبحانه وتعالى ـ له هذه الأنواع من العـزة؛ فهـو ذو قـدر عـظـيـم، وقـهـر بـالغ وامتناع عن كل سوء وعيب، وأما الحكيم فـهـو ذو الحكمة والحكـم؛ أي: أن الحكيم من الإحكام، وهو الإتقان، ومن الحكم.

-

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1ـ حاجة البشـر إلى الرسـل؛ ولهـذا دعـا إبـراهيم ـ عـليـه الـصلاة والسلام ـ أن يبعث في هذه الذريـة رسـولا مـنهم؛ يتلـو عـلـيهـم آياتـه ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، وهذا أمر معلوم بالضرورة؛ فإن





العقول مهما كبرت لا يمكن أن تستقل بمعرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل، ولا يمكـن أن تتعبـد الله ـ تعالى ـ إلا با شرعه لعباده؛ فهم في أشد الضرورة إلى الرسل. ،

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هذا الرسول - صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ يتلو عليهم آيات الله، وقد حصل مـا دعـا بـه إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام -؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وآلـه وسـلـم ـ كـان يعلـم أصحابه القـرآن الكـريـم، ولا يتجـاوزون عـشـر آيات حتـى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، ثم ألقوا هذا القـرآن الكـريـم إلى من بعدهم بكل ثقة وأمانة، وهكذا تداوله المسلمون إلى يومنـا هـذا . ولله الحمد ـ، ولم يجرؤ أحد على العدوان على هذا القرآن الكـريـم، وإذا اعتدى وجد ـ ولله الحمد ـ من يصده ويرده على عقبه.

3.. ومن فوائدها وأحكامها: أن ما جاء به الرسول ﷺ آيات؛ أي: علامات دالة دلالة قطعية على أنه نزل من عند الله ـ عز وجل ـ، وعـلى أنه شرع الله .

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة العلم، وأن رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ علم

أمته الكتاب والحكمة؛ ولهـذا لم يـدع النبـي شـيئا يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم إلا علمهم إياه؛ قـال أبـو ذر ـ رضي الله عنه ـ: «لقد توفي رسـول اللى ﷺ وما طائر يقلب جناحيه



إلا ذكر لنا منه علا»(1).
5- ومن فوائدها وأحكامهـا: أن هـذه الـشريعة جـاءت بالحكمـة المطابقة للمصالح؛ ولهذا كانت مبنية على جلب المصالح، ودرء المفاسد. 6- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات القياس في الشريعة الإسلامية إذا كان قياسًا صحيحًا؛ ووجه ذلك أن إلحاق النظير بنظيره في الحكـم من الحكمة؛ فيكون داخلا فيها علمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أمته، ودلائل هذا كثيرة؛ فكل مثل ضربه الله في القرآن فإنـه دلـيـل عـلى ثبوت القياس، وكذلك كل مثـل ضربـه النبي ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ فإنه دليل على ثبوت القياس، وقد كان النبي ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ يذكر المحسوس ليقاس عليه المعقـول؛ فـعـن أبي هريرة - رضي الله عنه ـ: «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله، ولـدلي غلام أسود، فقال: «هل لك من إبل؟»، قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟ » قال: خمر، قال: «هـل فيـهـا مـن أورق؟))، قال: نعم، قال: «فأنى ذلك؟»، قال: لعل نزعه عرق، قال: «فلعل ابنك هذا نزعه ٣٨)؛ فـاقتنع الرجل اقتناعا كاملا؛ لأن إلحاق النظير بنظيره من الحكمة، لكـن أكـثـر

(١) تقدم تخريجه ص (٢٦).
(٢)الأورق: ما لونه بين السواد والبياض.
(٣) رواه البخاري: كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم (٥٣٠٥)؛ ومسلم: كتاب اللعان، رقم (١٥٠٠).





ما يحصل في القياس أنه لا يكون صحيحا؛ حيث يقيس القـائس شـيئا على ما لا يماثله؛ وحينئذ يحصل الخطأ، وتكثر مجانبة الصواب . ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن نبينا ﷺ بعث ليتمم لأمته المكارم، وينمي فيها الفضائل؛ لقوله: «ويزكيهم»، وربما تشمل التزكية التعديل الذي هو ضد

الفسق، وذلك أن من تمسك بهذه الشريعة؛ فإنه يكون عدلا مقبولا.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات التوسل إلى الله ـ تعالى - بأسمائه، ودعاؤه بها؛ لقوله: «إنك أنت العزيز الحكيم. ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «العزيز» و«الحكيم».
١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات العزة، والحكمة، والحكم الله؛ فأما العزة فقد سبق الإشارة إلى أنها ثلاثة أنواع: عزة قدر؛ وهي أن الله ـ تعالى ـ ذو قدر عظيم لا يماثله شيء في قدره، وعزة قهر وغلبة؛ وهي أنه ـ سبحانه وتعالى ـ قاهر لكل شيء، غالب على كل شيء، وعزة امتناع؛ وهي أن الله ـ تعالى ـ يمتنع عن كل نقص وعيب؛ قال الله تبارك وتعالى -: ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون: ٨]. ١١ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الحكمة الله؛ والحكمة هي

وضع الشيء في موضعه اللائق به، ثم هي نوعان: حكمة في جعل الشيء على صفة معينة، وحكمة في الغاية من هذا



الشيء، وتكون في الشرع، وتكون في القدر؛ ولنضرب لهذا مثلا بالقمر؛ القمر وضعه الله ـ تعالى ـ في الساء، وجعله مقدرا بمنازل، وهذا التقدير يختلف به حجم القمر؛ أي: الحجم المضيء من القمر؛ فكونه على هذه الصفة المعينة يزداد حجم المضيء فيه رويدا رويدا حتى ينتهي، ثم يعود في النقص، هذه حكمة بلا شك؛ لأن الإنسان بمجرد أن ينظر إليه، فيجد ضوءه ناقصا يعرف أنه في الربع الأول من الشهر مثلا، وإذا وجده ممتلئا عرف أنه في الأخير من الربع الثاني ـ هكذا ـ، ثم إن الغاية منه هو أن نعرف عدد السنين والحساب، فكان هذا حكمة في كون القمر على صفة معينة وفي غاية تقديره منازل؛ لنعلم ـ بذلك ـ عدد السنين والحساب.

كذلك أيضا في الصلاة ـ وهي شرعية ـ نجد أن كونها على هذه الصفة المعينة في غاية الحكمة؛ قيام الله - عز وجل ـ وتقرب إليه بتلاوة كتابه، ومناجاته به، ثم ركوع يفيد قوة التعظيم الله ـ عز وجل ـ، ثم قيام بعده حتى يخر الإنسان ساجدا له ـ عز وجل ـ من أعلى انتصاب له إلى أسفل انخفاض له؛ حيث يضع أعلى ما في بدنه، وأشرف ما في بدنه وهو الوجه على الأرض

التي هي موطئ الأقدام وأسفل ما يكون إلى الجسم؛ تواضعا الله ـ عز وجل ـ وتعظيها له؛ ولهذا كان العبد إذا سجد أقرب ما يكون من ربه، ثم قعود بعد ذلك وهكذا؛ فكون الصلاة على هذه الصفة في غاية الحكمة، ثم الثمرات المرجوة من هذه الصلاة أيضا





حكمة عظيمة وهي حكمة الغاية؛ وحكمة الغاية من الصلاة هي سعادة الدنيا والآخرة؛ قال الله - تبارك وتعالى ـ في نفع الصلاة في الأمور الكونية والقدرية: « واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ [البقرة: 45]. وفي نفع الصلاة في الأمور الشرعية قال: « إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فأنت ترى أن حكمة الله ـ عز وجل ـ كائنة في الأمور في صفتها التي هي عليها، ثم في الغاية منها. ١٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الحكم الله، وأن الحكم الله وحده، أما كونا؛ فإنه لا مشارك له في حكمه، ولا يمكن لأحد أن يشارك الله في حكمه؛ فلا يمكن لأحد أن يمنع الموت إذا حضر، ولا يمكن لأحد أن يخلق شيئا مها ضعف؛ يقول الله ـ عز وجل -: « ينأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له" وإن يسلهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [الحج: 73].
فحكم الله الكوني لا يمكن لأحد مخالفته، ولا مضادته، ولا معارضته؛ ولهذا نجد أن الفيضانات العظيمة والعواصف المدمرة، والصواعق المحرقة تنزل على أعظم دولة وأقواها صناعة، واقتصادا،
وسلاحا، وتدمر ما شاء الله أن تدمره، ولا يملكون ردها. أما الحكم الشرعي: فإنه قد يغير وقد يبذل، لكن تغييره وتبديله اعتداء على حكم الله ـ عز وجل -، يلقى جزاءه من بدل أو غير، ولكن





مع ذلك لو بدل أو غير فإنه باقي، ولا سيما شريعة الإسلام التي بعث بها محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأنها مكتوب لها البقاء إلى يوم القيامة؛ ولهذا يحاول المبطلون المعتدون الملحدون أن ينالوا من هذه الشريعة، ولكن يقيض الله لها من يكبح جماحهم، ويرد عدوانهم؛ إذن الحكيم من الحكم ومن الحكمة، والحكمة حكمة الشيء على الوصف

الذي هو عليه، وحكمة الشيء في الغاية والثمرة المرجوة منه، والحكـم كوني وقدري؛ وعلى هذا فيكون الحكم الكـوني لـه حكمتـان: حكمـة وصف، وحكمة غاية، والحكم الشرعي له حكمتان: حكمـة وصـف وحكمة غاية.
١٣- ومن فوائدها وأحكامها: الفائدة المسلكية العظيمة؛ وهي أن الإنسان إذا علم أن الله هو العزيز؛ فإنه لن يستمد العزة إلا من عنده ـ عز وجل ـ، والعزة المستمدة من عند الله تكون بأمرين: إذا استقام على دينه، وبدعائه وسؤاله العزة؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ ولله العزة ولرسوله، وللمؤمنين ولكن المتفقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون: 8]، وقال - تعالى -: ( قل اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير اي تولج اليل في النهار وتولج النهار في اليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ [آل
عمران: ٢٦، ٢٧]





١٤ـ ومن فوائدها وأحكامهـا: الفائدة المسلكية في أن الإنسان يرضى با قدره الله عليه، وبها شرعه له؛ لأنه يعلم أنه مبني على الحكمة، فإذا علمت أن ما قدره الله عليـك صـادر عـن حـكـمـة؛ فإنـك سـوف تقتنع؛ لأنـك تعلـم أن الله أعلـم بـمـصالحك، وكذلك إذا علمت أن شريعة الله مبنية على الحكمة؛ فإنك تنقاد لهـا، وترضى بهـذه الـشريعة، وتعلم أنها حق، وأن مخالفتها هو السفه والباطل. ١٥ـ ومن فوائدها وأحكامها: الفائدة المسلكية أيضا في أنـك إذا علمت أن الحكم الله ـ تعالى ـ كونا وشرعا؛ فإنك لن تتجاسر على مخالفة أحكامه الشرعية، كما أنك لـن تـتمكـن مـن مخالفة أحكامـه القـدريـة؛ وحينئذ تكون مسلها الله ظاهرا وباطنا، كونا وشرعا.

**

ثم قال الله - تعالى -: ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من شفة نفسه، ولقد اصطفيته في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصلحين * *
[البقرة: 130].

لما ذكر الله ـ جل وعلا ـ ما قام به إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - مـن الأفعـال الجليلـة،

والأقوال الحميدة، والـدعوات المستجابة، والإخلاص التام لله ـ عز وجل ـ قال: «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه »؛ يعني: لا أحد يرغب عن مـلـة إبـراهيم، وهـي دينـه الذي هو عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، «إلا من شفة نفسه، * يعني:
ر



إلا من رضي لها السفه؛ والـشفـه ضـد الرشـد؛ وهـو ـ أعنـي: الـسفه - التصرف على وجه الخطأ، وبين الله - عز وجل ـ فضله عـلى إبـراهيم في قوله: «ولقد أصطفينه في الدنيا »؛ فيكون من اتبع ملته مصطفى في هذه الدنيا، ويكون في الآخرة من الصالحين، كـا كـان إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1- الثناء على ملة إبراهيم؛ وهي دينه المبني على الإخلاص لله، والمتابعة لشرعه، ولقد أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يتبع ملة إبراهيم حنيفا؛ قال الله ـ تعالى ـ: « ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل: ١٢٣] ٢- ومن فوائدها وأحكامهـا: أن اتبـاع مـلـة إبـراهـيـم هـو الـعـقـل، والرشـد، والصلاح.
3- ومن فوائدها وأحكامها: أن من رغب عـن مـلـة إبـراهيم فهـو السفيه، الذي أوقع نفسه في السفه، وإذا كان الناس يعدون من تصرف في ماله خبط عشواء سفيها؛ فإن من رغب عن ملة إبراهيم أسـفـه منـه وأشد سفها.

4- ومن فوائدها وأحكامها: الثنـاء عـلى إبـراهيم ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ؛ لكون الله ـ تعالى ـ اصطفاه في الدنيا، ووعـده وأكـد أنـه في الآخرة من الصالحين.



هـ ومن فوائدها وأحكامهـا: أن طـريـق إبـراهيم ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ وملته صفوة أعمال الخلق؛ لأنها شريعة الله، ولأنهـا صـادرة عمن اصطفاه الله؛ فتكون هي الصفوة من أعمال الخلق التي لا يرغـب عنها إلا من سفه نفسه.

6ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الآخرة؛ وهي اليوم الآخر الذي يقوم فيه الناس من قبورهم الله - عز وجل ؛ لينالوا جزاء أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره *

[الزلزلة: ٧، ٨].
ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الصلاح وصف حميد حتى للرسل؛ فهم ـ أي الرسل ـ قمة الصالحين، والصلاح قد يكون قسيتا للنبوة والرسالة إذا ذكر أو قرن معها في الذكر؛ قال الله ـ تعالى ـ: «ومن يطع الله والرسول فأولنيك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أوليك رفيقا ﴾ [النساء: 69]، لكن إذا ذكر الصلاح وحده فهو عام للجميع.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: جواز وصف النبي ﷺ بالصالح؛ لقوله: «وإنه في الآخرة لمن الصالحين، وفي حديث المعراج: أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا مر بالنبي في السموات يقول: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، وإبراهيم قال: «مرحبا بالنبي



الصالح والابن الصالح»(١).
ثم قال الله ـ تبارك وتعالى -: ( إذ قال له ربه أسلم قال أسلمتُ يرت العلمين = ﴾ [البقرة: 131].
«إذ هذه متعلقة بشيء محذوف، والتقدير: اذكر ـ منوها ومثنيا على إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين وقال له ربه أسلم »؛ أي: أسلم الله - عز وجل ـ إسلاما شرعيا؛ كا أنه مسلم له إسلاما كونيا قدريا، وقال أسلمت لرب العالمين فكان الجواب جواب مبادرة وفورية، لم يتأخر، ولم يتوان، «قال أسلمت لرب العالمين، ولم يقل: «أسلمتُ لربي»؛ لأن قوله: «يرت العلمين أعم واشمل، وهو كالتعليل للحكم؛ أي: الإسلام؛ يعني: أسلمت الله؛ لأنه رب العالمين
الذي يتصرف في عباده كما يشاء.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ فضيلة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ حيث أضاف الله ربوبيته إليه في قوله: «قال له ربه

أسلم .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: التنويه بذكر إبراهيم وبيان فضله، وهذه من عادة الله ـ عز وجل ـ أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يضيع أجر من

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٩)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله و إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١٦٣).





أحسن عملا؛ فإن الله يرفع ذكر من أحسن عملا بعد مماته، ويقيض من يعث حياته وإن كان ميتا؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ أومن كان ميتا فأحيينه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس يخارج منها ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ثم قال الله - عز وجل -: « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ينبني إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وقضى بها ؟ أي: بهذه الكلمة العظمية؛ وهي الإسلام الله ـ عز وجل ؛ فإن إبراهيم وصى بها بنيه، «ويعقوب» أي: وصى بها بنيه أيضا؛ ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم؛ فيكون إبراهيم جدا له. ينيني إن الله اصطفى لكم الدين »؛ اختاره لكم دينا تدينون به الله ـ عز وجل -، تقومون بحقه وحق عباده؛ «فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون»؛ أي: استمروا على إسلامكم إلى الموت.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1 ـ أهمية الإسلام الله - عز وجل ـ؛ حيث إن الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وصوا به أبناءهم.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن البنين الذكور هم أهل القيام بهذه المهمة العظيمة؛ الإسلام الله، والدعوة إليه، ونشره بين الأمة. 3- ومن فوائدها وأحكامها: تفضيل الذكور على الإناث.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن يعقوب ـ وهو ابـن إبـراهيم - ، وصى بها بنيه أيضا، ومن أبنائـه: يوسـف الـذي أنـزل الله ـ تعـالى ـ في قصته سورة كاملة.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله ـ تعالى ـ اصـطفى هـذا الـدين لعباده المؤمنين، واختاره لهم.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب شكر الله ـ تعالى ـ على نعمتـه بالدين الإسلامي؛ حيث اختاره الله ـ عز وجل ـ لعباده، ثم شكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن وفق العبد للقيام بهذا الـديـن الـذي اصطفاه الله - تعالى ـ له .

. ومن فوائدها وأحكامها: وجـوب استمرار الإسلام الله ـ عز وجل ـ إلى الموت؛ وهذا يتفرع عنه فائدة أخرى؛ وهي حرص الإنسان على الثبات على دينه إلى أن يلقى الله ـ عز وجل ـ وهو مسلم له.

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون .
«أم » هنا في معنى «بل»، وهمزة الاستفهام، والتقدير: «بل أكنتم شهداء» «إذ حضر يعقوب الموت»، والمقصود بهذا تقرير هذه الوصية التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب.





وهو
وإذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي»؛ يعني: أي معبـود تعبدونـه من بعدي؟ «قالوا نعبد إلهك وإله ابايت إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، الله رب العالمين، وذكر إسماعيل هنا من بـاب التغليـب والتبعية؛ لأن إسماعيل ليس من آباء يعقوب، ولكنه عمـه، وقـد قـال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»(1). وقوله: «إلها واحدا * هذا تأكيد التوحيـد؛ يعني: لا نعبـد معـه غيره، بل نعبده هـو إلها واحدا ونحن له »؛ أي: لهـذا المعبـود ـ وهـو رب

العالمين ـ عـز وجـل ـ «مسلمون»؛ أي: مستسلمون لـه ظـاهرا
وباطنًا.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا- بيان حرص يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ عـلى أن يكـون بنوه على توحيد الله - عز وجل -، والاستسلام له ظاهرا وباطنًا؛ ووجه
ذلك أنه سأل بنيه عن هذا الأمر العظيم وهو في سياق الموت. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: اعتبار قول المحتضر، وأن قوله المعتبر معمول به، وهذا يختلف باختلاف أحوال الناس؛ فمن النـاس مـن إذا احتضر، ونزل الملك لقبض روحه؛ غاب عن شعوره، ولم يدر ما يقول، وهذا لا عبرة بقوله، ومن الناس من يبقى معـه فـكـره وإحساسه وإن

(ا) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب تقديم الزكاة ومنعها، رقم (٩٨٣).



٣ـ
كان في سياق الموت، وهذا هو الذي يعتبر قوله. 3- ومن فوائدها وأحكامها: حرص الأب على أبنائه، وأنه ينبغي أن يورث بعده ذرية طيبة تعبد الله - سبحانه وتعالى ـ ولا تعبد غيره. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الآباء والأجداد يكونون أسوة لأبنائهم وأبناء أبنائهم، فإما أسوة حسنة وإما أسوة سيئة، فهؤلاء البنون ـ أعني: بني يعقوب ـ قالوا: «نعبد إلهك وإله ابابك »، والكفار الذين عاندوا المرسلين قالوا: « إنا وجدنا اباءنا على أمة *
[الزخرف: ٢٢]
5- ومن فوائدها وأحكامهـا: أنـه ينبغي للرجـل إذا كـان مبتلى بمعصية من المعاصي أن يحرص على ألا يشاهده أهلـه عليهـا؛ وأضرب لذلك مثلا بشرب الدخان؛ فإن بعض الناس يكون مبتلى بهذه المعصية، ثم يشربها أمام أبنائه فيألفون هذا، وربا يشربونها كـا يـشربها أبـوهـم، فيكون ـ بذلك ـ دالا على سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم

القيامة.
6 - ومن فوائدها وأحكامها: إطلاق اسم الأب على الجـد؛ لقوله: «قالوا نعبد إلهك وإله ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهـو دليل على القول الراجح من أقوال أهـل العلـم في أن الجـد

في الميراث

بمنزلة الأب؛ فيحجب الإخوة، سواء كانوا أشقاء، أو لأب، أو لأم. 7- ومن فوائدها وأحكامها: إطلاق لفظ الأب على العم تغليبا؛

= ٤٨٢١

أحكام من القرآن الكريم

لقوله: « ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق».
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن التوحيد لا يتم إلا باعتقاد وحدانية الله - عز وجل ـ؛ بحيث لا يعتقد الإنسان له شريكا؛ لقوله: إلها واحدا ؟ .
9ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة بني يعقوب؛ حيث قالوا: إنهم يعبدون الله ـ عز وجل -، ويسلمون له في قوله ـ تعالى ـ: «ونحن له مسلمون، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يحقق لنا جميعا الإسلام له؛ حتى نلقاه على أحسن حال يرضى بها عنا.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما ستتم ولا تشغلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: ١٣٤]. تلك» المشار إليه من سبق من الأمم، حيث إن بعض الناس يظن أن انتسابه إلى أحد من الأنبياء أو غيرهم من الأولياء ينفعه عند الله؛ فيقول: أنا أبي فلان، فقال الله ـ عز وجل -: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون»؛ أي: عا كان يعمل هؤلاء، بل كل يسأل عما عمل.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
اـ قطع تعلق الإنسان بالنسب، وأن نسبه لا ينفعه عند الله؛ وإنا الذي ينفعه هو العمل الصالح الذي يكون قرينه في قبره وفي حشره،

سورة البقرة

483

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى

عمله»(١)

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن كسب الآباء لا ينتفع بـه الأبنـاء، وأن كسب الأبناء لا ينتفع به الآباء إلا إذا كان ذلك سببا؛ فإنـه يـؤجر المتسبب للخير على ما تسبب به؛ لأن الدال على الخير كفاعله، وهـو في الحقيقة من كسبه؛ فمن اقتدى بك في العمل الصالح وانتفع بها عملت؛ فإن أجره ينالك منه؛ لأن الدال على الخير كفاعله.

3ـ ومن فوائدهـا وأحكامها: أن الأبناء والأحفاد لا يسألون عا يعمله الآباء؛ فخطيئة الآباء عليهم، وخطيئة الأبناء عليهم؛ لقوله * ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الإسراء: 15]، وقوله: « ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: 134].

*

ثم قال: ( وقالوا كونوا هودا أو نصرى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ( * [البقرة: 135].
قالت اليهود للنبي ﷺ وأصحابه: كـونـوا هـودا تهتـدوا، وقالـت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، وكذبوا في ذلك؛ فإن الهدايـة باتبـاع

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم (٦٥١٤)؛ ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم (٢٩٦٠).

=





شريعة الله ـ عز وجل ـ، وبعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم - لا اهتداء ولا هداية إلا بالدين الذي جاء به رسول الله ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ؛ وهو مـلـة إبـراهيم؛ ولهذا قـال: «قل بل ملة إبراهيم ؛ أي: بل نتبع ملة إبراهيم؛ أي: دينه الـذي هـو عـليـه، «حنيفا »؛ أي: بدون ميل إلى الشرك والكفر؛ ولهـذا قـال: «وما كان من المشركين » ؛ بل كان من المخلصين الله ـ عز وجل ـ

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن أهل الباطل لا يألون جهدا في الدعوة إلى باطلهم وتضليلهم الناس؛ لقولهم: «كونُوا هودا أو تصرى تهتدوا .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل الباطل قد يدعون ما يعلمون أنه باطل؛ لقولهم: «كونوا هودا أو نصرى تهتدوا ؛ فإن اليهود والنصارى آتاهم الله الكتاب، وهم يعرفون النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يعرفون أبناءهم؛ كما قال ـ تعالى : ( الذين اتيتهم الكتب يعرفونه, كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة: ١٤٦]، لكنهم ـ والعياذ

بالله ـ كتموا الحق، وقالوا: الحق معنا، ومن تبعنا فهو الذي قد اهتدى . ٣ـ ومن فوائدها وأحكامهـا: عنايـة الله ـ سبحانه وتعـالى ـ بهـذه الأمة؛ حيث رد على هؤلاء المضللين؛ اليهود والنصارى بقوله: «قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على من بين الباطـل أن يبين





الحق؛ ليسير الناس عليه؛ لأن الناس لابد لهم من دين يدينون به، ومـن عمل يسلكونه وينهجونه، فإما خير وإما شر؛ ولهـذا قـال: «قل بل ؛ أي: بل لا نكون هوذا ولا نصارى، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا. هـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان منقبة عظيمة من مناقب إبـراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ حيث كان على غاية من الإخلاص لله حنيفا، ولم يكن من المشـركين.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام - معصومون من الشـرك، كيف لا وهم قد جاءوا لإبطال الشـرك، والقضاء على أهله: « قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا تحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صغرون ﴾ [التوبة: ٢٩]، واقتلوهم حيث تقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة
ع
أشـد من القتل ﴾ [البقرة: 191].

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: ( قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأشباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى البيوت من ربهم لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون = ﴾ [البقرة: 136].
الخطاب في قوله: «قولوا لهذه الأمة، لكل من كان مـن بنـي آدم





بعد نزول هذه الآية؛ فالخطاب ـ إذن ـ موجه لكل أمة الدعوة. امنا بالله »؛ أي: أقررنا بوجوده، وأذعنًا لأمـره، وقبلنـا خـبره، والإيمان بالله - سبحانه وتعالى ـ يتضمن عـدة أمـور؛ يتضمن: الإيـان بوجـوده، والإيان بربوبيتـه، والإيمان بألوهيتـه، والإيان بأسـائه وصفاته، فمن انتقص شيئا من هذه الأمور الأربعة؛ فإن إيمانه نـاقص، وقد يكون إيمانه معدوما.
وما أنزل إلينا؛ وهو القرآن، «وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب والأشباط؛ وهؤلاء كلهم أنزل إليهم، يهتدون به، ويهدون به، وما من رسول إلا أنزل الله عليه كتابا؛ قال الله ـ تعالى ـ: لقد أرسلنا رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد: ٢٥].
كـ
وقوله: «والأشباط * قيل: إن المراد بهم أبناء يعقوب، وقيل: المراد بالأسباط القبائل التي تفرق إليها بنو إسرائيل؛ قال الله - تعالى -: وقطعتهم اثنتي عشرة أسباطا أمما ﴾ [الأعراف: 160]؛ أي: ما أنزل على الأسباط بواسطة أنبيائهم ـ عليهم الصلاة والسلام -؛ فإن الله ـ تعالى ـ بعث في بني إسرائيل أنبياء كثيرين، وهذا القول أصح من الذي قبله. :
وقوله ـ تعـالى -: (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم »؛ أي: ما أوتي موسى من الآيات، وما أنزل عليـه مـن الـوحي، وهو التوراة، وكذلك ما أوتي عيسى من الآيات ومـا أنـزل عـلـيـه مـن





الوحي، وهو الإنجيل .
وما أوتى النبيون من ربهم * ؛ على سبيل العموم من الآيات التي يؤمن على مثلها البشر؛ فإن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله

آمن عليه البشر...» (١)؛ وذلك أنه لابد أن يكون للأنبياء آيات تبين للناس صدق ما بعثوا به؛ لأن الناس لن يصدقوا إذا جاءهم شخص وقال: أنا رسول الله إليكم إلا بآيات تدل على صدقه؛ ولهذا جعل الله - عز وجل ـ لكل نبي آية، ولا تفرق بين أحد منهم »؛ أي: لا نفرق بين أحد من هؤلاء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والمراد أننا لا نفرق بينهم في أصل الإيمان؛ فإننا نؤمن بأنهم كلهم صادقون فيما جاءوا به من الوحي، وأنهم رسل الله - عز وجل ـ إلى خلقه، ولكننا نفرق بينهم من حيث الأحكام والشرعة ـ أي: الشرائع -؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [المائدة: 48]؛ فالشرائع لا تلزمنا ـ أي: شرائع من قبلنا ـ، وإنا تلزمنا شريعتنا التي جاء بها نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، أما شرائع من قبلنا فإن وافقت شريعتنا آمنا بها؛ بناء على أن شريعتنا جاءت بها، وإلا فإنها تكون منسوخة بشريعتنا، وقوله - تعالى -: «ونحن له مسلمون»؛ أي: ونحن الله مسلمون؛ أي:

-

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم (٤٩٨١)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد و إلى جميع الناس، رقم (١٥٢).





منقادون لأمره، متبعون لشرعه، وهذه الآية فيها أصول عظيمة؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقرأ بها في سنة الفجر أحيانا؛ يقرأ بها في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية يقرأ: ( قل يتأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكر ألا نعبد إلا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأحيانا يقرأ في الركعة الأولى: ( قل ينأيها الكفرون ﴾ [الكافرون: 1]، وفي الركعة الثانية: « قل هو الله أحد »
[الإخلاص: 1].

-:
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ وجوب الإيمان بها ذكر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «قولوا ءامنا بالله * . ٢- ومن فوائدها وأحكامها: الإيمان على وجه التفصيل بما أنزل إلينا وهو القرآن؛ فنؤمن بأن القرآن كلام الله - عز وجل ،

أنزله على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بواسطة جبريل الأمين؛ كما قال الله ـ تعالى : ( وإنه لتنزيل رب العلمين - نزل به الروح الأمين و على قلبك لتكون من المنذرين و بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، ونؤمن كذلك بما تضمنه هذا القرآن الكريم من الأخبار، وأنها أخبار حق، ونؤمن كذلك با تضمنه هذا القرآن من الأحكام؛ وهي الأوامر
والنواهي، وأنها أحكام مبنية على العدل، والرحمة، وتحقيق المصالح؛ ولهذا لا رحمة للخلق أعظم من رحمتهم بهذا الدين الإسلامي.

198

١٩٣

سـورة البقـرة

١٤٨٩

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الإيمان بما أنزل الله ـ تعالى ـ على الرسل المذكورين؛ كالصحف التي أنزلت على إبراهيم؛ كما قال ـ تعالى -: « إن هذا لفي الصحف الأولى من صحف إبراهيم وموسى » *
الأعلى: ١٨، ١٩]، وكذلك ما أنزل إلى إسماعيل وإسحاق... إلخ. 4.. ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الرسل المذكورين كلهم قـد أنزل إليهم، إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط؛ يعني: أنبياء الأسباط على القول الرجح.
هـ ومـن قـوائـدها وأحكامهـا: وجوب الإيـان بـا أوتي موسى وعيسى من الآيات البينات الشرعية والكونية.

فمن آياتها الشرعية: التوراة التي جاء بها موسى، والإنجيل الـذي جاء به عيسى، ومن آياتها الشرعية أيضا: أن مع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عصا، إذا وضعها في الأرض انقلبت حيه، وإذا حملها عادت عضا، وأنه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء مـن غـيـر سـوء؛ أي: مـن غير برص، لكنه بياض نور.

أما آيات عيسى ـ عليه الصلاة والسلام -: فإنه لا يمسح ذا عاهـة إلا برأ؛ فهو يبرئ الأكمه والأبرص، وأبلغ من هذا أنـه يحيي المـوتى - بإذن الله ؛ يأمر الميت فيحيا، وأبلـغ مـن هـذا أنـه يخـرج المـوتـى مـن قبورهم؛ يقول للميت في قبره: اخـرج؛ فيخـرج، ولكنـه ـ بـإذن الله ؛ لأن

عيسى - عليه الصلاة والسلام ـ لا يملك أن يحيى أحدا من الخلق،
-





ولا أن يميت أحدا من الخلق؛ فالذي يحيي ويميت هو الله - عز وجل - ـ
ولكن الله ـ تعالى ـ يجعل قول عيسى سببا، فإذا قال عيسى للميت: قم حيا وما أشبه ذلك؛ قام حيا، وإذا وقف على القبر وقال: اخرج حيا؛ خرج حيا، وكان أيضا يخلق من الطين كهيئة الطير ـ؛ صورة الطير ـ فينفخ فيها فتكون طيرا يطير بإذن الله، ينفلت من يده طائرا، وهذا النفخ الذي نفخه عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو نفخ للروح في هذا التمثال الذي كهيئة الطير ـ فتبارك الله رب العالمين. 6ـ ومن فوائدها وأحكامها وجوب الإيان با أوتي الأنبياء عموما من الآيات، وأنها حق، وأنها ليست سحرا، بل هي تكون بقدرة الله ـ تعالى ـ وإذنه.

- ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب علينا الإيان با أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، نؤمن بذلك إيمانًا لا نفرق فيه بين واحد وآخر، وهذا من حيث الخبر؛ فيجب علينا أن نصدق أخبارهم، ونؤمن بها، أما من جهة الأحكام؛ فلكل جعل الله شرعة ومنهاجا، وكل أمة تعمل بما جاء في شريعتها من الأحكام.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة هذه الأمة؛ حيث كانت الآخرة؛ لتصدق جميع الأنبياء السابقين؛ فيكون لها فضيلة الإيمان بكل الأنبياء السابقين.



ـ ومن فوائدها وأحكامها: إعلان الإخلاص الله في قوله: «ونحن
له مسلمون .

ثم ق

قال الله - تعالى -: ﴿ فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به، فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ( * [البقرة: 137].

قوله: «فإن ءامنوا»؛ يعني: المكذبين للرسل، بل المكذبين لرسول الله ﷺ من اليهود، والنصارى، والمشركين، وبمثل مآ ءامنتم به »؛ أي: بالقرآن الكريم، والباء قيل: إنها زائدة، والمعنى: فإن آمنوا مثل ما آمنتم به؛ أي: على صفة ما آمنتم به، ونحن قد آمنا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنا بالقدر خيره وشره، والتزمنا بأحكام شريعة محمد و، فإذا آمنوا مثل هذا الإيمان الذي آمنت به هذه الأمة؛ فقد اهتدوا »، وهذا مقابل قوله: « وقالوا كونوا هودا أو نصرى تهتدوا ﴾ [البقرة: 135]؛ فيكون الاهتداء حقيقة من كان مسلها مؤمنا بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -.
وإن تولوا »؛ يعني: أعرضوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به. فإنما هم في شقاق »؛ أي: في تباعد عن الدين ومنازعة فيه، وهذا لا يضركم، ولكنه يضرهم؛ ولهذا قال: «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»؛ أي: فسيكون الله كافيا لك بالنسبة لهم، وسينصرك





عليهم، وقد حصل هذا ـ ولله الحمد -؛ فإن اليهود والنصارى أذهم الله ـ عز وجل ـ لما كان المسلمون أعزة بدين الله، قائمين بأمر الله؛ صار اليهود والنصارى أذلاء بين أيديهم، يؤدون الجزية أو يسلمون، وقوله: وهو السميع العليم* سبق الكلام عليه عند قول الله ـ تبارك وتعالى ـ عن إبراهيم وإسماعيل: « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * [البقرة: ١٢٧]؛ فلا حاجة إلى إعادة الكلام عليه.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- بيان أنه لا هداية بغير الإيمان با آمنت به هذه الأمة؛ لقوله: فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا، وإذا فات الشرط فات المشروط.

٣ـ

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن اليهود والنصارى ضالون، تائهون، بعيدون عن الحق؛ لقوله:

«فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به، فقد اهتدوا ؛ فمفهومه إذا لم يؤمنوا كذلك فلا هداية لهم. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: ضلال من ظن أن دين اليهود والنصارى ـ اليوم ـ دين قائم مشتمل على الهداية، مقبول عند الله، ومن زعم ذلك فإنه كافر خارج عن الملة ـ والعياذ بالله ـ، مكذب لقول الله ـ تعالى : ( ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين ﴾ [آل عمران: 85]، ولقول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم



يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النّار»(١)، ومعلوم أن من شهد أو اعتقد أن دين اليهود والنصارى دين حق ـ اليوم - سيجعلهم - أي: اليهود والنصارى ـ من أصحاب الجنة؛ فإنه يكون بهذا مكذبا لقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام -: «إلا كان من أصحاب النّار». 4ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأمم السابقة قبلنا تبع لنا، يلزمهم أن يؤمنوا بشريعتنا، ويتبعوا شريعتنا، وهذا من نعمة الله ـ تعالى علينا؛ فنحن الآخرون زمنا، السابقون فضلا، السابقون يـوم القيامـة حـشرا، ونشرا، وإعطاء للكتب، وعبورا على الصراط، ودخـولا للجنـة ـ والله الحمد.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: تهديد المتولين عن شريعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وأنهم في شقاق؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وإن تولوا فإنما هم في شقاق»؛ أي: في شق بعيد عن الدين الحق المقبول عند الله . 6 - ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: البـشرى السارة في قولـه فسيكفيكهم الله»، وأن الله - سبحانه وتعالى ـ سـيكفي نبيـه كـل عدو للمسلمين من اليهود، والنصارى، وغيرهم؛ لقولـه ـ تعـالى -: فسيكفيكهم الله.
ـ ومن فوائدها وأحكامها: تنشيط المسلم على التمسك بدينه،

(١) سبق تخريجه ص (١٤١).



وأنه على حق، وأنه منصور، ولابد أن الله ـ تعالى ـ كافيه أعداءه؛ لقوله - تعالى -: «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»، وقوله ـ تعالى ـ في آية أخرى -: « إن الله يدافع عن الذين ءامنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ [الحج: ٣٨].

٨ ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان عظمة الله ـ عز وجل ـ، وعزته وقدرته؛ حيث قال:
«فسيكفيكهم الله»، وهو شامل لكل عدو
لرسول الله ﷺ

= I494

ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما «السميع والعليم»، وإثبات ما دل عليه هذان الاسان الكريان من الصفة؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ موصوف بالسمع، وموصوف بالعلم، فسمعه واسع للأصوات كلها، وعلمه محيط بكل شيء؛ وفسيكفيكهم الله وهو السميع العليمه.

ثم قال الله ـ تعالى : ( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن -:
له عبدون ( * [البقرة: ١٣٨].

صبغة الله * منصوب بفعل محذوف تقديره: الزموا صبغة
الله؛ أي: دين الله - عز وجل (ومن أحسن من الله صبغة»، أي: لا أحد أحسن من الله صبغة (ونحن له »؛ أي:الله ـ عز وجل ـ وحده عبدون»؛ أي: متذللون بالطاعة بامتثال أمره، واجتناب نهيه.



فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا- فضيلة ما نحن عليه من دين الله؛ حيث أضافه الله إلى نفسه، فقال: «صبغة الله * .

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن أحسن شريعة يستمسك بها الخلق
شريعة الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ومن أحسن من الله صبغة »
٣- ومن فوائدها وأحكامها وجوب إقرار العبد بأنه عبد الله، ومقتضى هذه العبودية أن يكون ممتثلا لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ مجتنبا لنهيه؛ لأن العبودية مأخوذة من التعبد؛ وهو التذلل محبة وتعظيها. ٤- ومن فوائدها وأحكامها: وجوب إخلاص العبادة الله؛ لقوله . تعالى : ( ونحن له عبدون ) .

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: ( قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعملنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون = ﴾ [البقرة: 139]. «قل»؛ أي: يا محمد، ويصح أن يكون خطابا لكل من يتوجه إليه الخطاب. والاستفهام في قوله: «أتحاجوننا في الله » للإنكار والمحاجة هي المخاصمة؛ لإقناع الخصم؛ لأن كل واحد من الخصمين يدلي بحجته؛ ليلزم بها الآخر.
وقوله: «في الله ﷺ؛ أي: في دينه وشرعه، فتقولون: نحن الذين على

= 496

أحكام من القرآن الكريم

الحق مع أن الحق مع من اتبع ما جاء به رسول اللى ﷺ وهو ربنا وربكم : باتفاقنا واتفاقكم أنه رب الجميع، وإذا كان هذا إقراركم؛ فإن الواجب عليكم أن تأخذوا بشرعه الآخر فالآخر؛ لأنه رب؛ فهو أعلم بمصالح عباده، فهو الذي يملك ما شاء من أمورهم، فيأمرهم وينهاهم على حسب ما تقتضيه حكمته ورحمته. ولنا أعملنا ولكم أعمالكم »؛ يعني: أن الرب واحد، وأن لكل ذي عمل عملا خاصا به؛ فعمله خاص به وحده؛ ولهذا قال: «ولنا أعملنا ولكم أعملكم »، وهذا كقوله - تعالى -: «فل بتأيها الكفروت ( لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد - ولا أنا عابد ما عبدتم ع ولا أنتم عابدون ما أعبد و لكم دينكم ولي دين » [ الكافرون: 1 ـ 6]. فكيف تحاجوننا في الله ـ عز وجل -، ونحن نتفق جميعا على أنه ربنا، ولكن أنتم تخالفون هذا الرب، فلنا أعالنا ولكم أعالكم، ثم ختم الآية بذكر الإخلاص لله ـ عز وجل -، وإخلاص الشيء تنقيته مما يشوبه؛ فالمعنى: نحن له مخلصون في العبادة، لا نعبد غيره، ولا نتخذ
ربّا سواه.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1_الإنكار على من يحاج في الله بغير علم، بل با يعلم أن الأمر بخلافه؛ لقوله - تعالى -: (قل أتحاجوننا في الله .

سورة البقرة

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي عند المحاجة ذكر ما يتفق عليه الطرفان؛ ليكون ملزما

للآخر فيما يقتضيه هـذا الاتفـاق؛ لقوله: وهو ربنا وربكم »، وقد سبق في تفسيرها ما يتبين به وجه ذلك. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: التبرؤ من أعمال المشركين، والاعتزاز بأعمال أهل الحق؛ لقوله: «ولنا أعملنا ولكم أعمالكم ؟.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي للمؤمن أن يكـون لـه قـوة شـخصية، يعتـز بـهـا في دينه، وفي شـرعـه، وفي منهاجـه؛ لقوله: «ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ؟.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: الحذر من التشبه بغير المسلمين؛ لأنـه إذا كانت أعاالهم لهم ـ وهذه قضية مسلمة ـ فلا يجب أن نتشبه بهم فـيا يختص بهم من أعمالهم؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليـه وآله وسـلم -: «من تشبه بقوم فهو منهم».
6 ـ ومـن فـوائـدها وأحكامها: فضل هـذه الأمـة بإخلاصـها الله - عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ونحن له مخلصون »؛ أي: له لا لغيره.

١٤٩٧

**

(١) سبق تخريجه ص (٣٢).

**

ثم قال - تعالى -: ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأشباط كانوا هودا أو تصري" قل أنتم أعلم أمر الله ومن

١٤٩٨ =



أظلم ممن كتم شهيدة عنده من الله وما الله بغفل عما تعملون ع *
[البقرة: 140].
«أم » هنا بمعنى «بل، وهمزة الاستفهام»؛ أي: بل أتقولون، والاستفهام هنا للإنكار؛ يعني: أن الله ـ تعالى ـ ينكر عليهم هذا القول: إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأشباط كانوا هودا أو نصرى »، وهل هذا يعقل أن يكون إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

والأسباط المتقدمون هودا أو نصارى، واليهودية والنصرانية

ما
لم تحدثا إلا من بعدهم؟! هذا ليس بالمعقول؛ كما قال الله - تعالى -: أولما أصبتكم مصيبة قد أصبتم مثليها فقلتم أن هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران: 65].
يقول ـ عز وجل ـ عن هؤلاء اليهود والنصارى منكرا عليهم: وقل أنتم أعلم أمر الله ، ومن المعلوم أن الجواب: بل الله - عز وجل - هو الأعلم، وإذا كان الله ـ تعالى ـ أعلم، وقد بين أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبنيه، ويعقوب وبنيه كلهم كانوا على الحق، كلهم كانوا على الإخلاص، فكيف تأتون أنتم وتقولون: إن إبراهيم كان يهوديا أو إن إبراهيم كان نصرانيا؟!.
ومن أظلم ممن كتم شهدة عنده من الله »؛ «ومن أظلم » «من» استفهام، والاستفهام هنا بمعنى النفي؛ أي: لا أحد أظلم من كتم شهادة عنده
الله؛ لأن الواجب على المستشهد أن يشهد ولا
من

سورة البقرة

١٤٩٩

يـــتم، ومن أظلم ممن كنم شهيدة عنده من الله » ، وتقدير الجواب لهذا الاستفهام أن نقول: لا أحد أظلم من هذا، «وما الله يغفل عما تعملون» ! هذه نافية، «وما » هذه نافية، «يغفل » خبر المبتدأ، ودخلت عليه الباء لزيادة التأكيد؛ فلم يكن الله ـ تعالى - غافلا عما يعمل هؤلاء؛ لكال علمه ومراقبته ـ جل وعلا. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ بيان بطلان هذه الدعوة الباطلة الكاذبة من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط كانوا هودا أو نصاري.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإنكار عليهم، والمناداة عليهم بالجهل؛ لقوله: «قل أنتم أعلم أمر الله *
٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: اتخاذ هذه القاعدة العظيمة لرد دعوى أهل التعطيل الذين أنكروا ما وصف الله به نفسه، وقالوا: لا يمكن أن يتصف الله بهذا؛ لأن هذا حادث، أو لأن هذا يقتضي التجسيم، أو ما أشبه ذلك، فنقول لهم: «أنتم أعلم أمر الله ؟ فإن قالوا: نحن أعلم؛ فقد نادوا على أنفسهم بالضلال، وإن قالوا: بل الله أعلم؛ قلنا: إذن أثبتوا ما أثبت الله لنفسه

من الأسماء والصفات على حقيقته، وانفوا ما نفسه من الأسماء والصفات.
عن
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب نشر الإنسان ما علمه اللّٰه -

نفى اللّٰه